مسائلُ في الاعتقاد

للإمام شهاب الدين القرافي

(ت. 684 هـ)

اعتنى به:

﴿عبد الإله بوديب﴾

مستخرج من كتاب الذخيرة للإمام القرافي

تقديم النشرة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين مولانا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد،

تأتي **هذه النشرة** المتواضعة لتسلط الضوءَ على عقيدة أَحَدِ أئمة أهل السنة وهو الإمام الشهير شهاب الدين القرافي المصري المالكي الأشعري (ت.684 هـ) رضي الله تعالى عنه وأرضاه، التي ضمنها آخر كتابه الموسوعة: **الذخيرة**، في فقه السادة المالكية، وهذا الكتاب كما هو معروف من مطولات الفقه المالكي؛ حيث بلغ عدد مجلداته بتحقيق محمد حجي ثلاثة عشر مجلدا، ولضعف الهمم في هذا الزمان عن مطالعة مثل هذه المطولات من المختصين في الفقه فضلا عن عامة طلبة العلم، وعموم الناس، قلَّتِ الاستفادة من هذه **الذخيرة العقدية السُّنية**، التي يظهر لكل مطلع عليها أنها ليست عقيدة الإمام القرافي وحسب، بل إنها جديرة بأن **تكون عقيدة عموم السادة المالكية**، فقد أكثر الإمام فيها من النقل عن أرباب المذهب المالكي وعلى رأسهم الإمام الأجل **مالك بن أنس رضي الله عنه**، فنقل عن ابن القصار، وابن القاسم، وابن عبد البر، وابن أبي زيد وغيرهم.

كما أنها تدل على جانب آخر من التحام الدرس العقدي عند المالكية بنظيره العملي والروحي، لا أنها خصيصة المغاربة وعلماء الغرب الإسلامي، كما ذهب إلى ذلك العديد من الباحثين المعاصرين.

وما امتياز المغاربة بذلك إلا لكون المغرب بلد المالكية بامتياز، فيكون بذلك هذا التلاحم بين الكلام والفقه والتصوف **خصيصة مذهب لا قطر أو بلد**.

كما أنه ناقش العديد من القضايا العقدية في آخر كتابه الذي سماه بالجامع، وإن لم يدرجها تحت جنس العقيدة، وهي حقيقة بأن تكون ضمنه، لذا أضفتها إلى ما كتبه الإمام تحت جنس العقيدة وسميتها ب: "مسائل في الاعتقاد"، ورتبتُ مسائلها محافظا في الغالب الأعم على ترتيب الإمام، إلا ما كان من إلحاق النظير بالنظير، وعلقت أحيانا على ما رأيته جديرا بالتعليق، من غير إثقال للهوامش بالنقول والتعريفات والترجمات، كما حرصت على عنونة كل مسألة من المسائل العقدية بعنوانها الذي يليق بها كما هو في كتب علم الكلام، ليسهل الوقوف على اختيارات الإمام العقدية وجعلت العنوان بين معقوفتين [...] ليميَّز عن كلام الإمام القرافي.

وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله.

المحتاج إلى دعاء أهل الفضل والعلم:

عبد الإله بوديب – غفر الله له ولوالديه -.

لباب النشرة:

قال الإمام المتكلم شهاب الدين القرافي رضوان الله عليه:

كتاب الجامع

هذا الكتاب **يختص به مذهب مالك** لا يوجد في تصانيف غيره من المذاهب، وهو من محاسن التصانيف، لأنه تقع فيه مسائل لا يناسب وضعها في ربع من أرباع الفقه، أعني العبادات، والمعاملات، والأقضية، والجنايات. فجمعها المالكية في أواخر تصانيفهم وسموها بالجامع أي جامعُ الأشتات من المسائل التي لا تناسب غيرَه من الكتب، وهي ثلاثة أجناس[1]: **ما يتعلق بالعقيدة**، وما يتعلق بالأقوال، وما يتعلق بالأفعال، وهو الأفعال والتروك بجميع الجوارح.

الجنس الأول : العقيدة

[في التقليد في العقائد]

قال ابن القصار[2] وغيره: مذهب مالك **وجوب النظر وامتناع التقليد** في أصول الديانات، قال إمام الحرمين والأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: لم ير بالتقليد غير أهل الظاهر.

[في أول واجب على المكلف]

فتعين على كل مكلف عند أول بلوغه أن يعلم أن لجميع الموجودات من الممكنات

---

[1] : وهذه خصيصة علماء المذهب المالكي كما سبق، حيث تمتزج في مصنفاتهم العقيدة بالفقه والتصوف والآداب.

[2] علي بن عمر ابن القصار البغدادي المالكي (ت.397 هـ)، صاحب عيون الأدلة في مسائل الخلاف بين فقهاء الأمصار.

خالقا ومدبرا هو واجب الوجود.

[في صفاته سبحانه وتعالى]

أزلي أبدي، حي بحياة، قادر بقدرة، مريد بإرادة، عالم بعلم، سميع بسمع، بصير ببصر، متكلم بكلام.

[في متعلقات الصفات ووجوبها]

وأن صفاته تعالى **واجبة الوجود أزلية أبدية** عامة التعلق؛

فيتعلق علمه: بجميع الجزئيات والكليات والواجبات والممكنات.

وإرادته تعالى: متعلقة بجميع الممكنات.

وعلمه: متعلق بجميع المعلومات.

وبصره: متعلق بجميع **الموجودات**.

وسمعه سبحانه: متعلق بجميع الأصوات والكلام النفساني حيث كان من خلقه والقائم بذاته. وأن قدرته تعالى: عامة التعلق بجميع الممكنات الموجودة في العالم من الحيوان وغيرهم. ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾[3]

[في فعل الصلاح والأصلح]

له أن يفعل الأصلح لعباده، وله أن لا يفعل ذلك،﴿ **لا يسأل عما يفعل وهم يسألون**﴾[4].

---

[3] **الشعراء، الآية 11.**

[4] **الأنبياء، الآية 23.**

[في التوحيد]

وأنه واحد في ذاته لا نظير له ولا شريك، ولا يستحق العبادة غيره سبحانه.

[في صفة الرسل وخبرهم]

وأن جميع رسله –صلوات الله عليهم– صادقون فيما جاؤوا به، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن جميع ما جاء به حق، وما أخبر به صدق، من: عذاب القبر وأحواله، والقيامة وأهوالها من الصراط والميزان، وجميعُ المغيبات عبادٌ كالملائكة والجان وغيرهم.

[في علم الكلام]

وأدلة جميع هذه العقائد مبسوطة **في علم أصول الدين**، وكذلك **تفصيل** هذه الحقائق و**تفاريعها**[5].

وفي الجواهر[6]: أما القيام بدفع شبه المبطلين **فلا يتعرض له إلا من طالع علوم الشريعة وحفظ الكثير منها وفهم مقاصدها[7] وأحكامها، وأخذ ذلك عن أيمة** فاوَضَهُم فيها وراجعهم في ألفاظها وأغراضها، وبلغ درجة الإمامة في هذا العلم بصحبة الأئمة الذين أرشدوه للصواب وحذروه من الخطإ والضَلال، حتى ثبَت الحق في نفسه ثبوتا، فيكون القيام بدفع الشبهات حينئذ فرض كفاية عليه وعلى أمثاله

أما غيرهم فلا يجوز لهم التعرض لذلك، لأنه ربما ضعف عن رد تلك الشبهة،

---

[5] **هذه إشارة منه إلى الفرق بين العقيدة وعلم أصول الدين، وأن مجمل حقائق وأصول الاعتقاد دون دليل هو المسمى بالعقيدة، وأن تفصيل المعتقدات وتفريعها ونصب الأدلة عليها هو المسمى بعلم أصول الدين، وفيه ما لا يخفى من انقسام العقيدة إلى أصول وفروع.**

[6] **كتاب عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة لأبي محمد جلال الدين الشهير بابن شاس المالكي(ت616 هـ) وهو من أجلّ كتب الفروع في المذهب المالكي، اعتمد في تصنيفه ابن شاس على أربعين مؤلفا من مؤلفات المذهب.**

[7] **يستفاد من هذا النص اشتراط العلم بمقاصد الشريعة، وحِكمها الكلية الجزئية.**

فيتعلق بنفسه منها ما لا يقدر على إزالته فيكون **قد تسبب إلى هلاكه**، نسأل الله العصمة.

وكذلك القيام بالفتوى فرض كفاية أيضا، وقد تقدم في مقدمة الكتاب قبل الطهارة ما هو فرض كفاية أيضا من الفقه وما هو فرض عين، **وأنه لا يختص بباب من أبواب الفقه**، بل هو علمك بحالتك التي أنت فيها، فيطالع من هناك.

وفي التلقين[8]: يجب النظر والاعتبار المؤديين للعلم بما افترض عليك أو ندبت إليه، وطلب ما زاد على ذلك فرض كفاية، وفي تعلمه فضيلة عظيمة. ولا يجوز لمن فيه فضل النظر والاجتهاد وقوة الاستدلال تقليد غيره، وفرض عليه أن ينظر لنفسه، لقوله تعالى:﴿**فاعتبروا يا أولي الأبصار**﴾[9] ومن لا فضل فيه لذلك فهو في سعة من تقليد من يغلب على ظنه أنه أفقه وأعلم وأدين وأورع وقته، ويلزمه الأخذ بما يفتيه به لقوله تعالى:﴿**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**﴾[10].

[مشروعية الاشتغال بعلم الكلام]

ورأيت لأبي حنيفة –رضي الله عنه– جوابا لكلام كتب به إليه مالك: إنك تتحدث في أصول الدين وإن السلف لم يكونوا يتحدثون فيه.

فأجاب: بأن السلف – رضي الله عنهم– لم تكن البدع ظهرت في زمانهم، فكان تحريك الجواب عنها داعية لإظهارها فهو سعي في منكر عظيم فلذلك تُرك. قال: وفي زماننا ظهرت البدع فلو سكتنا كنا مقرين للبدع، فافترق الحال.

---

[8] **هو كتاب التلقين في الفقه المالكي للقاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي (ت422 هـ)**

[9] **الحشر، الآية 02.**

[10] **النحل، الآية 43.**

وهذا جواب سديد، يدل على أن البدع ظهرت ببلاده العراق، ومالك لم يظهر ذلك ببلده فلذلك أنكر، فهذا وجه الجمع بين كلام الإمامين.

[مناظرة بين القرافي وأحد الشافعية في حكم الاشتغال بعلم الكلام]

وعن الشافعي –رضي الله عنه– لو وجدت المتكلمين لضربتهم بالحديد.

قال لي بعض الشافعية –وهو متعين فيهم يومئذ–: هذا يدل على أن مذهب الشافعي تحريم الاشتغال بأصول الدين.

قلت له: ليس كذلك فإن المتكلمين اليوم في عرفنا إنما هم الأشعري وأصحابه، ولم يدركوا الشافعي ولا تلك الطبقة الأولى، إنما كان في زمان الشافعي عمرو بن عبيد وغيره من المعتزلة المبتدعة أهل الضلال، ولو وجدناهم نحن ضربناهم بالسيف فضلا عن الحديد[11]، فكلامه ذمٌّ لأولئك لا لأصحابنا. وأما أصحابنا القائمون **بحجة الله والناصرون لدين الله** فينبغي **أن يعظموا ولا يهتضموا** لأنهم القائمون بفرض كفاية عن الأمة، فقد أجمعت الأمة على أن إقامة الحجة لله تعالى فرض كفاية.

قال لي ذلك الشافعي: يكفي في ذلك الكتاب والسنة.

قلت له: فمن لا يعتقدهما كيف تقام الحجة بهما ؟

فسكت.

[11] **في هذه النص دلالة على أن موقف الأشاعرة من المعتزلة الأوائل هو نفسه موقف الإمام الشافعي، بل أشد، لا أنه يرى وجوب قتلهم لبدعتهم.**

تنبيه:

[في شروط المشتغل بعلم الكلام]

قال الغزالي: يشترط في الطائفة التي تقوم بفرض الكفاية من أصول الدين أربعة شروط:

أن يكون وافر العقل لأنه علم دقيق،

وأن يستكثر منه لأنه لا أكفر من نصف أصولي،

وأن يكون دينا فإن قليل الدين إذا وقعت له الشبهة لا يطلب لها جوابا،

وأن يكون فصيحا لأن الفَدْم لا ينتفع به.

[في صفة الجنة والنار]

وأن الجنة حق والنار حق مخلوقتان.

[في حال مرتكب الكبيرة]

وأنه لا يخلد أحد من أهل القبلة في النار بكبيرة.

[في القدر]

وأن ما شاء الله كان وما شاء الله لم يكن.

مسألة :

[في الرضا بالقضاء]

السخط بالقضاء حرام إجماع.

قال صاحب الجواهر وغيره: السخط بالمقدور، وهي عبارة رديئة، قال المحققون يجب الرضى بالقضاء دون المقضي، وبالقدر دون المقدور. وتحريره أن الطبيب إذا وصف للعليل دواء مرا أو قطع يده المتأكلة، فإن قال بئس ما وصف الطبيب فهو بغض وسخط بقضاء الطبيب. وإن قال نعم ما صنع غير أني وجدت للقطع ومرارة الدواء ألما كثيرا فإن ذلك ليس قدحا في الطبيب، بل الأول قدح فيه وطعن عليه.

فعلى هذا إذا ابتلي الإنسان بمرض فتألم من المرض بمقتضى طبعه فهذا ليس عدم رضى بالقضاء بل عدم رضى بالمقضي، وإن قال أيُّ شيء عملتُ حتى أصابني هذا؟ وما ذنبي؟ وما كنت استأهله؛ فهذا عدم رضى بالقضاء لا بالمقضي، فتأمل هذا، فهو حسن.

[في حقيقة الإيمان]

وأن الإيمان اعتقاد بالقلب ونطق باللسان، وعمل بالجوارح.

مسألة:

[في زيادة الإيمان ونقصانه]

قال ابن أبي زيد في جامع المختصر: قال مالك: الإيمان عمل وقول يزيد وينقص،

وعنه: **دع الكلام في نقصانه خوفا من الذريعة من قول الخوارج بإحباط الإيمان بالذنوب**[12].

---

[12] **يستفاد من هذا النقل النفيس أن النظر المصلحي للإمام مالك –رضي الله عنه– كان يشمل عنده حتى مسائل الاعتقاد، فضلا عن الأعمال والأقوال.**

تنبيه:

الجمهور على أن الإيمان إنما يوصف بالزيادة والنقصان إذا فُسّر بعمل الجوارح، أما اعتقاد القلب وتصديقه فلا، لأنه إن وجد فقد آمن وإلا فهو كافر.

والحق أن الجميع قابل للزيادة والنقصان. أما الأعمال فظاهر، وأما ما في القلب فباعتبار زمانه ومكانه ومتعلقه.

أما زمانه: فلأنه عرض لا يبقى زمانَين، فإذا طال زمانه وعدم طريان الغفلة عليه فقد زاد وإلا نقص.

وأما مكانه: فلأن النفس ذات جواهر يمكن أن يقوم بجوهرين إيمانان، وبثلاثة.

فيزيد وينقص ويكون الجميع متعلقا بشيء واحد، **فإن اجتماع الأمثال في التعلق دون المحل ليس محالا**.

وأما متعلقه: فإن الإنسان بعد إيمانه المعتبر إذا تجدد له العلم بآية أو خبر أو صفة من صفات الله تعالى تجدد له بها إيمان.

مسألة:

[هل يجوز تقييد الإيمان بالمشيئة؟]

قال: قيل لمالك: أقول أنا مؤمن والله محمود أو إن شاء الله ؟

فقال: **قل مؤمن ولا تجعل معها غيرها،** معناه لا تقل إن شاء الله ولا غير ذلك.

وهذه مسألة خلاف بين العلماء؛ قال الأشعري والشافعي وغيرهما: يجوز إن شاء الله.

وقال أبو حنيفة وغيره: لا يجوز، لأن الإيمان يجب فيه الجزم، ولا جزم مع التعليق.

وقال غيرهم: بل يجوز لأحد وجوه، إما أن يريد المستقبل وهو مجهول الحصول في المستقبل للجهل بالخاتمة، أو يكون ذكر الاستثناء للتبرك لا للتعليق.

[في كلام الله تعالى]

وأن كلام الله تعالى قائم بذاته محفوظ في الصدور ومقروءة بالألسنة مكتوب في المصاحف.

فرع:

[في الكلام الذي سمعه سيدنا موسى عليه السلام]

قال ابن أبي زيد: يجب أن يعتقد أن الله تعالى أسمع موسى- عليه السلام – كلامه القائم بذاته لا كلاما قام بغيره.

وتقرير هذه المسألة وأدلتها ذكرته مبسوطا سهلا في **كتاب الإنقاد في الاعتقاد**[13].

[في رؤية الله وتكليمه البشر]

وأن الله تعالى يراه المؤمنون يوم القيامة ويكلمهم.

فرع:

[في التفضيل]

قال ابن يونس[14]: وأن يعتقد أن خير القرون الصحابة رضي الله عنهم، ثم الذين

---

[13] يفيدنا هذا في موضوع هذا الكتاب المفقود حتى الآن، أو على الأقل بأحد موضوعاته.

[14] أبو بكر محمد بن يونس الصقلي المالكي (ت.451 هـ)، الإمام الحافظ أحد الأئمة الكبار المعول عليهم في المذهب.

يلونهم، ثم الذين يلونهم كما أخبر عليه السلام.

وأن أفضلهم أبو بكر، ثم عمر ثم عثمان، وقيل ثم عثمان وعلي ولا يفضل بينهما، وروي عن مالك القولان.

وأن المهاجرين أفضل عصره عليه السلام، وأن أفضلهم العشرة، وأفضل العشرة الأئمة الأربعة، ثم أهل بدر من المهاجرين، والمهاجرون على قدر الهجرة والسبق، وأن من رآه ساعة أو مرة أفضل من أفضل التابعين.

تنبيه:

ليس هذه التفضيلات مما أوجب الله تعالى على المكلف اكتسابه أو اعتقاده، بل لو غفل عن هذه المسألة مطلقا **لم يقدح ذلك في الدين**. نعم، متى خطرت بالبال أو تحدث فيها باللسان وجب الإنصاف وتوفية كل ذي حق حقه.

ويجب الكف عن ذكرهم إلا بخير.

[في حقيقة الإمامة وشروطها]

وأن الإمامة خاصة في قريش دون غيرهم من العرب والعجم، وأن نصب الإمام للأمة واجب مع القدرة، وأنه موكول لأهل الحل والعقد دون النص، وأنه من فروض الكفاية.

[في طاعة الأئمة]

ويجب طاعة الأيمة وإجلالهم وكذلك نوابهم، فإن عصوا بظلم أو **تعطيل حد** وجب الوعظ، وحرمت طاعته في المعصية وإعانته عليها لقوله عليه السلام: ﴿**لا طاعة**

لمخلوق في معصية الخالق﴾[15]، ولا يجوز الخروج على من ولي وإن جار، ويغزى معه العدو، ويحج البيت، وتدفع له الزكوات إن طلبها، وتصلى خِلْفه الجمعة والعيدان.

قال مالك: لا يصلي خلف المبتدع منهم **إلا أن يخافه فيصلي**، واختلف في الإعادة[16].

قاعدة:

ضبط المصالح العامة واجب، ولا تنضبط إلا **بعظمة الأيمة في نفس الرعية**، ومتى اختلفت عليهم أو أهينوا تعذرت المصلحة، ولذلك قلنا: لا يُتقدم في إمامة صلاة الجنازة ولا غيرها لأن ذلك مخل بأبّهتهِم.

فرع:

[في الاجتهاد في العقائد]

قال: ومذهب أهل السنة: **لا يعذر من أدّاه اجتهاده لبدعة**، لأن الخوارج اجتهدوا في التأويل فلم يُعذروا، وسماهم رسول الله –صلى الله عليه وسلم– مارقين من الدين، وجعل المجتهد في الأحكام مأجورا وإن أخطأ.

فرع:

[في الابتداع]

قال: أنكر مالك رواية أحاديث البدع من التجسيم وغيره، **ولم ينكر الضحك ولا حديث التنزيل، وأنكر حديث أن العرش اهتز لموت سعد.**

---

[15] **رواه الهيثمي في مجمع الزوائد.**

[16] **أي: إعادة الصلاة.**

تنبيه:

الأصحاب متفقون على إنكار البدع من التجسيم وغيره، ولا يستقيم ذلك على ظاهره. لأنها خمسة أقسام:

واجبة: كتدوين القرآن والشرائع إن خيف عليها الضياع، فإن التبليغ لمن بعدنا من القرون واجب إجماعا.

ومحرمة:

كالمكوس الحادثة وغيرها.

ومندوبة: كصلاة التراويح وإقامة صور الأيمة والقضاة بالملابس وغيرها من الزخارف والسياسات، وربما وجبت.

ومكروهة: كتخصيص الأيام الفاضلة وغيرها بنوع من العبادة.

ومباحة: كاتخاذ المناخل، ففي الأثر عن عائشة رضي الله عنها: أول شيء أحدثه الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المناخل، لكن إصلاح الأغذية المباحة مباح.

فالبدعة إذا عُرضت تُعرض على قواعد الشرع وأدلته، فإن اقتضتْها قاعدةُ تحريم حرمت، أو إيجاب وجبت، أو إباحة أبيحت، وإن نظر إليها من حيث الجملة بالنظر إلى كونها بدعة مع قطع النظر عما يتقاضاها كرهت.

فهذا تفصيل أحوال البدع، **فيتمسك بالسنن ما أمكن**. ولبعض السلف الصالح ويسمى أبا العباس الأبياني الأندلسي[17]:

[17] **أبو العباس عبد الله بن إبراهيم، فقيه مالكي، تفقه على أصحاب سحنون، وعليه تفقه أهل تونس توفي سنة352 هـ.**

"**اتبع ولا تبتدع، اتضع ولا ترتفع، مِن وَرَعٍ ولا تتسع**". وسيأتي في الأفعال فروع عديدة من البدع مفردة إن شاء الله.

مسألة:

[في الصفات الخبرية]

قال[ابن أبي زيد] : يجب أن يعتقد أن يديه سبحانه مبسوطتان، وأن يده غير نعمته.

قلتُ: في هذه المسألة مذاهب لأهل الحق مع جميع النصوص الواردة في الجوارح كالوجه والجنب والقدم؛

قيل: يتوقف عن تأويلها ويعتقد أن ظاهرها غير مراد، ويحكى أنه مذهب السلف، فإنه تهجم على جهة الله تعالى بالظن، والتخمين.

وقيل: يجب تأويلها لقوله تعالى: ﴿**أفلا يتدبرون القرآن**﴾[18] وقال: ﴿**ليدبروا آياته**﴾[19] وغير ذلك من النصوص الدالة على النظر والاعتبار. وتدبرُ الكلام هو رده إلى دُبُره، وهو المعنى الخفي بدليل مُرشِد له. والقولان للشيخ أبي الحسن.

وإذا قلنا بالتأويل فيُحمل مذهب السلف - رضي الله عنهم — على مواطن استواء الأدلة وعدم الترجيح، وهذا هو المشهور للأشعرية.

وعلى أيِّ شيء تُأَوّلُ ؟

---

[18] **النساء، الآية 82.**

[19] **ص، الآية 29.**

فقيل: على صفات مجهولة غير الصفات السبعة المتقدم ذكرها، استأثر الله تعالى بعلمها.

وقيل: بل الصفات السبعة ونحوها مما يناسب كل آية، فاليد للقدرة، والعين للعلم، والقدم ونحوها للقدرة، والوجه للذات، والجنب للطاعة، لأن هذه المحامل المناسبة من المجازات لهذه الحقائق، **ومتى تعذر حمل اللفظ على حقيقته تعين صرفه لأقرب المجازات إليه لغة.**

فائدة:

وردت النصوص بإفراد اليد وتثنيتها وجمعها: ﴿**يد الله فوق أيديهم**﴾[20] ﴿**لما خلقت بيدي**﴾[21] ﴿**أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون**﴾[22]

مع أن المتجوَّز إليه واحد في نفسه وهو القدرة.

وسببه أن القدرة لها متعلق، فإن عُبِّر عن القدرة باعتبار ذاتها أُفْرِدت، أو اعتبار متعلقاتها جُمعت، أو باعتبار أن متعلقاتها قسمان ثُنّيت.

واختلف في تقدير التثنية فقيل: الجواهر والأعراض إذْ لَم توجِد القدرة غيرهما، أو أمر الدنيا وأمر الآخرة، أو الخيور والشرور[23]

---

[20] **الفتح، الآية 10.**

[21] **ص، الآية 75.**

[22] **يس، الآية 71.**

[23] **ثم ذكر بعد ذلك بعض ما يتعلق بالاعتقاد وهي أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكر نسبه الشريف، ونسب أمه صلى الله عليه وسلم، وسلم عليها – عليها السلام – مما يدل على أنه قائل بنجاة أم رسول الله صلى الله عليه وسلم،**

مسألة:

[في شرح جواب الإمام مالك رضي الله عنه عن الاستواء]

قال رجل لمالك: يا أبا عبد الله ﴿ **الرحمن على العرش استوى**﴾[24] كيف استوى ؟

قال: الاستواء غير مجهول، **والكيف غير معقول**، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب، وأراك صاحب بدعة أخرجوه.

قال ابن أبي زيد: الله تعالى فوق سماواته على عرشه **دون أرضه**، وإنه في كل مكان بعلمه.

وقال في الرسالة: استوى على العرش المجيد **بذاته**.

وهذا [النقل الأخير] أقرب للتأويل من الأول [النقل الذي قبله]، أي بغير مُعين بل بذاته استوى على العرش **وغيره**. وخص الله تعالى العرش بالاستواء لأنه أعظم أجزاء العالم، فيبقى غيره بطريق الأولى، فقال جماعة عن ابن أبي زيد وعن ابن عبد البر وجماعة من المجتهدين إنهم يعتقدون الجهة لأجل هذه الإطلاقات.

وقال **بعض الفضلاء** هذا إنما يلزمهم إذا لم يصرحوا بأنه ليس كمثله شيء وبغير ذلك من النصوص النافية للجهة، وإنما قصدهم إجراء النصوص كما جاءت من غير تأويل، ويقولون لها معان لا ندركها، **ويقولون هذا استواء لا يشبه الاستواءات، كما**

ثم ذكر مرضعاته، وصفته الخِلقية الشريفة، وأولاده، وأزواجه، وسراريه – عليه أفضل الصلاة والتسليم –، وهذا أيضا له دلالته على تعلق هذه المسائل بالعقيدة، من جهتين:

الأولى عامة: وهي دور السيرة النبوية في تثبيت العقيدة خصوصا في مواجهة التنصير– وهذا موضوع قمين بالبحث–.

الثانية خاصة: كتوقف بعض مسائل الكلام على معرفة هذه المسائل، وسيأتي توقف معرفة الصفة الخلقية الشريفة للنبي صلى الله عليه وسلم على مسألة في الرؤيا.

[24] **طه، الآية 05.**

أن ذاته **لا تشبه الذوات**، فكذلك يكون فوق سماواته دون أرضه **فوقية لا تشبه الفوقيات**.

وهذا أقرب لمناصب العلماء من القول بالجهة[25].

ومعنى قول مالك (الاستواء غير مجهول): أن عقولنا دالتنا على الاستواء اللائق بالله وجلاله وعظمته، **وهو الاستيلاء** دون الجلوس ونحوه مما لا يكون إلا في الأجسام.

وقوله (والكيف غير معقول): معناه أن ذات الله تعالى لا توصف بما وَضعَت العرب له كيف، وهو الأحوال **المتنقلة والهيآت الجسمية من التربع** وغيره، فلا يعقل ذلك في حقه تعالى لاستحالته في جهة الربوبية.

وقوله: والسؤال عنه بدعة، معناه: لم تجر العادة في سيرة السلف بالسؤال عن هذه الأمور المثيرة للأهواء الفاسدة، فهو بدعة.

فرع:

[في تعذيب وتنعيم الجن]

قال: قال ابن القاسم[26]: للجن الثواب والعقاب.

قلتُ: وحكى المحاسبي قولين في التنعيم، **والإجماع على تعذيب الكافر منهم**، لقوله تعالى: ﴿**لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين**﴾[27] ولم يرد نص في أن الجن في

---

[25] وهذا يدل على منهج قويم في التعامل مع نصوص العلماء، له ملمحان: الأول علمي: وهو ذكر الأقوال كما هي ونقدها، بعيدا عن محاولة جرها قسرا لمذهبية ما، فبعض العلماء نسبوا لابن أبي زيد وابن عبد البر القول بالجهة، ولم يتردد الإمام في نقله، بل ونقده كما فعل مع العبارة الأولى " فوق عرشه دون أرضه".

فالثاني: خلقي، وهو حمل نصوص الأئمة على أحسن المحامل، مع صيغة التنسيب " أقرب".

كما نستفيد من هذا النص تصحيح نسبة عبارة " فوق العرش المجيد بذاته" الواردة في الرسالة.

[26] عبد الرحمن بن القاسم (ت. 191 هـ) صاحب الإمام مالك الشهير.

[27] هود، الآية 119.

الجنة، **غير أن العمومات تتناولهم**، نحو قوله تعالى: ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم**﴾[28] ونحو ذلك.

[في حقيقة الفطرة]

قال صاحب الاستذكار[29] اختلف في قوله عليه السلام في الموطأ وغيره:﴿**كل مولود يولد على الفطرة**﴾[30]

فقيل: **الخلقة**، لقوله تعالى:﴿**فاطر السماوات**﴾[31] أي: خالقها، أي: فارغ من جميع الأديان، **وهو أصح الأقوال**.

وقيل: **الاستقامة** كقول موسى للخضر: ﴿**أقتلت نفسا زاكية بغير نفس**﴾[32] وكان طفلا.

وقيل: **الإسلام قاله عامة السلف**، لقوله تعالى:﴿**فطرت الله التي فطر الناس عليها**﴾[33] أي دين الله، ولقوله في الحديث نفسه:﴿**كما تناتج الإبل من بهيمة جمعا هل تحس من جذعا**﴾[34].

وقيل: **البدأة**، أي كل مولود يولد على ما ابتدأه الله عليه من الشقاء أو السعادة،

---

[28] لقمان، الآية 08.

[29] هو الإمام أبو عمر ابن عبد البر النمري (ت.463هـ)

[30] رواه البخاري ومسلم. وأبو داود في سننه واللفظ له.

[31] فاطر، الآية 01.

[32] الكهف، الآية 74.

[33] الروم، الآية 30.

[34] نفسه.

والفاطر المبتدئ ويعضده قوله عليه السلام لما سئل عن أطفال المشركين:﴿**الله أعلم بما كانوا عاملين**﴾[35]. وقال الله تعالى:﴿**كما بدأكم تعدون فريقا هدى وفريقا عليهم الضلالة**﴾[36].

وقيل: الفطرة **الإيمان طوعا وكرها**، لأنه قال للذرية يوم البذر[37] : ﴿**ألست بربكم؟ قالوا: بلى**﴾[38] فأهل السعادة قالوها عن علم، وأهل الشقاء قالوها عن إكراه وجهل، يؤيده قوله تعالى:﴿**وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها**﴾[39].

قالوا: وهو معنى قوله تعالى:﴿**كما بدأكم تعدون**﴾[40].

مسألة:

[في مصير الأطفال في الآخرة]

قالت طائفة: أولاد الناس كلهم –المؤمنين والكافرين– الأطفال إذا ماتوا موكولون لمشيئة الله من نعيم وعذاب، لأنه أعلم بما كانوا عاملين.

قال الأكثرون: **أطفال المسلمين في الجنة، وأطفال الكفار في المشيئة**، لقوله عليه السلام:﴿**ما من المسلمين من يموت له ثلاث من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله وإياهم الجنة بفضله ورحمته**﴾[41].

---

[35] رواه البخاري ومسلم : "عن أبي هريرة رضي الله عنه: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذراري المشركين، فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين" واللفظ للبخاري.

[36] الأعراف، الآية 29،30.

[37] هكذا ذكر في الذخيرة، ولعل الأصل يوم الذر لا البذر.

[38] الأعراف، الآية 172.

[39] آل عمران، الآية 83.

[40] الأعراف، الآية 29.

وقيل: الأطفال كآبائهم في الدنيا والآخرة، لقوله عليه السلام: ﴿**هم من آبائهم**﴾[42].

وقيل: يمتحنون بنار تؤجج لهم من دخلها دخل الجنة وإلا دخل النار، وهو مروي عنه عليه السلام.

وكره جماعة الكلام في الأطفال والقدر، فهذه خمسة مذاهب في الفطرة، وستة في الأطفال.

تنبيه:

[مسألة في دقيق علم الكلام: حقيقة الرؤيا]

في القبس[43] قال صالح المعتزلي[44]: رؤية المنام هي رؤية العين، وقال آخرون هي رؤية بالعينين، وقال آخرون هي رؤية بعينين في القلب يبصرهما وأذنين في القلب يسمع بهما.

وقالت المعتزلة: هي تخاييل لا حقيقة لها ولا دليل عليها، **وجرت المعتزلة على أصولها في تحيلها على العامة في إنكار أصول الشرع في الجن وأحاديثها والملائكة وكلامها، وأن جبريل عليه السلام لو كلم النبي صلى الله عليه وسلم بصوت لسمعه الحاضرون.**

وأما أصحابنا فلهم ثلاثة أقوال:

قال القاضي[45]: هي خواطر واعتقادات؛

---

[41] الحديث في البخاري وغيره بعدة ألفاظ ولفظ الصحيح " ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته وإياهم " ولم أجده بهذا اللفظ ببحثي القاصر.

[42] رواه البخاري ومسلم.

[43] القبس في شرح موطإ مالك ابن أنس للقاضي أبي بكر بن العربي المعافري (ت.543 هـ)

[44] هو صالح قبة المعتزلي (ت.246 هـ)، ذكره أبو الحسن الأشعري في مقالاته وذكر أقواله في الرؤية والجوهر الفرد.

وقال الأستاذ أبوبكر[46]: أوهام، وهو قريب من الأول؛

وقال الأستاذ أبو إسحاق[47]: هو إدراك بأجزاء لم تحلها آفة النوم، فإذا رأى الرائي أنه بالمشرق وهو بالمغرب أو نحوه، فهي أمْثلة جعلها الله دليلا على تلك المعاني، كما جعلت الحروف والأصوات والرقوم الكتابية دليلا على المعاني.

فإذا رأى الله تعالى أو النبي عليه السلام فهي أمثلة تُضرب له بقدر حاله، فإن كان موحدا رآه حسنا، أو ملحدا رآه قبيحا، وهو أحد التأويلين في قوله عليه السلام:﴿**رأيت ربي في أحسن صورة**﴾[48].

قال وقال لي بعض الأمراء: رأيت البارحة النبي عليه السلام في المنام أشد ما يكون من السواد،

فقلت: ظَلَمتَ الخلق وغيّرتَ الدين، قال عليه السلام: الظلم ظلمات يوم القيامة، فالتغيرُ فيك لا فيه.

وكان متغيرا علي وعنده كاتبه وصهره وولده، فأما الكاتب فمات، وأما الآخران فتنصرا، وأما هو فكان مستندا فجلس على نفسه وجعل يعتذر، وكان آخر كلامه وددت أن أكون حميا بمخلاة أعيش بالثغر. قلت وما ينفعك أن أقبل أنا عذرك، وخرجتُ، فوالله ما توقفتْ لي عنده بعد ذلك حاجة.

تنبيه: قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: النوم ضد الإدراك اتفاقا،

---

[45] **أبو بكر الباقلاني المالكي الأشعري (ت.403هـ)**

[46] **الأستاذ أبو بكر بن فورك الأشعري الشهير (ت.406 هـ)**

[47] **الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني (ت.418 هـ)**

[48] **رواه الإمام أحمد والترمذي واللفظ له.**

والرؤيا إدراك يمثُل كما تقدم، فكيف يجتمع مع النوم؟ وأجاب بأن النفس ذاتُ جواهر، فإن عمّها النوم فلا إدراك ولا منام، وإن قام عرض النوم ببعضها قام إدراك المنام بالبعض الآخر، ولذلك أن أكثر المنامات إنما تحصل آخر الليل عند خفة النوم.

مسألة:

تقدم أن المدرَك إنما هو المِثل، وبه خرج الجواب عن كون رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى في الآن الواحد في مكانين،

فأجاب الصوفية بأنه عليه السلام: كالشمس تُرى في أماكن عدة وه ي واحدة، وهو باطل، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه زيد في بيته والآخر في بمحلته داخل بيته أو في مسجده، والشمسُ لا تُرى إلا في مكان واحد، ولو رُئيت في بيت إنسان لما رُئيت في بيت إنسان آخر في ذلك الزمان.

فظهر أن الحق ما يقوله العلماء **وهو أن المُدرك المِثْل لا نفس الحقيقة**، وأن معنى قوله عليه السلام ﴿**من رآني فقد رآني حقا لا يتمثل بي**﴾[49]

[أي] من رأى مثالي فقد رأى مثالي حقا، فإن الشيطان لا يتمثل بمثالي.

وأن الخبر إنما يشهد بعصمة المثال عن الشيطان.

ونصَّ الكرماني[50] في كتابه الكبير –في تفسير المنام–: أن الرسل والكتب المنزلة والملائكة والسحب أيضا كذلك، وما عداه من المثل يمكن أن تكون من قبل الشيطان.

---

[49] **رواه البخاري ومسلم وغيرهما بألفاظ عدة ولفظ الصحيح : " من رآني فقد رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتخيل بي.."، ولم أجده بهذا اللفظ ببحثي القاصر.**

مسألة:

قال العلماء لا تصح رؤية النبي صلى الله عليه وسلم قطعا إلا لرجلين: صحابي رآه،

أو حافظ لصفته حفظا حصل له من السماع ما يحصل للرائي له عليه السلام من الرؤية، حتى لا يلتبس عليه مثاله مع كونه أسودا أو أبيضا وشيخا أو شابا إلى غير ذلك، من صفات الرائين الذي يظهر فيه كما يظهر في المرآة أحوال الرائين، وتلك الأحوال صفة للرائين لا للمرآة.

قلتُ لبعض مشايخي رحمهم الله: فكيف يبقى المثال مع هذه الأحوال المتضادة؟

قال لي: لو كان لك أبٌ شاب فغِبتَ عنه، ثم جئته فوجدته شيخا أو أصابه يرقان فاصْفرّ أو اسودّ لونه ألست تشك فيه؟ قلت: لا. فقال لي : ما ذاك إلا لما ثبُتَ في نفسك من مثاله، فكذلك من ثبُت في نفسه مثال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا لا يشك فيه مع تغير الأحوال، وإلا فلا لا يثق بأنه رآه عليه السلام، بل يجوز أن يكون هو ويجوز أن يكون غيره. وإذا صح له المقال، فالسواد يدل على ظلم الرأي، والعمى يدل على عدم إيمانه، لأنه إدراك ذَهَبَ، وقِطاع اليد يدل على أنه منعَ من ظهور الشريعة وأضعفَها، وكونه أمردَ يدل على استهزائه بالنبوة لأن الشاب يحتقر، وكونه شيخا يدل على تعظيمه للنبوة لأن الشيخ يعظم ونحو ذلك. **انتهى.**

---

[50] أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله الكرماني عاش قي خلافة المهدي (158 هـ – 169هـ) وكتابه المشهور بعنوان: " دستور التعبير أو كتاب التعبير"، ولعله هو هذا الذي ذكره القرافي بعنوان: " تفسير المنام ".

تمت هذه النشرة بحمد الله تعالى

يوم الأربعاء 29 رجب 1441 هـ الموافق ل27 مارس 2020 م

بالمغرب، وادي أمليل-- تازة.

وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد، وعلى آله.